إشهار الرؤوس المقطوعة
في أيام العباسيين
(بقية المنشور في العدد الماضي)

الأستاذ ميخائيل عواد

ثالثاً — رؤوس متفرقة

١ — الرؤوس في مصر

قال المقريزي في كلامه على دار الوزارة الكبرى: « ..... وأخبرني شيخ معمر يُعرف بالشيخ عليّ السمودي، وُلد في سنة سبع وسبعمائة. قال: رأيتُ مرّة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة مابقي من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس إنسان كبير، وعندي أنّ هذا الرأس من جملة رؤوس الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في أيام وزارته للعاضد بعد شاور؛ فإنه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة، وصار يستدعي واحداً بعد واحد إلى خزانة الدار ويوهم أنه يخلع عليهم، فإذا صار واحد منهم في الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. وكانت دار الوزارة في الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن..[1]»

ومما حفلت به سنة ٤١٠هـ من الأحداث أن « جرد صاحب مصر جيشاً لقتال صالح بن مرداس صاحب حلب، وبعث الجيش مع نوشتكين التزبري، فكانت الواقعة عند شاطىء نهر الأردن، فاستظهر التزبري وقتل صالحاً وابنه، وأنفذ رأسيهما إلى مصر....[2]».

٢ — الرؤوس في قندهار:

قندهار من بلاد السند. قد وقفنا في بعض أخبار سنة ٣٠٤ هـ، على أنه « وَرَدَ الكتاب من خراسان يذكر فيه أنه وجد بالقَنْدَهار[1] في أبراج سورها رج متصل بها، فيه خمسة آلاف رأس في سلال من حشيش، ومن هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأساً، في أذن كلّ رأس منها رقعة مشدودة بخيط ابريسم باسم كل رجل منهم. والأسماء: شُرَيح بن حَيّان، خَبّاب بن الزبير، الخليل بن موسى التيمي، الحارث بن عبد الله، طَلْق بن معاذ السلمي، حاتم بن حَسَنَة، هانىء بن عروة، عمر بن علان، جرير بن عبّاد المدنيّ، جابر بن حُبيب ابن الزبير، فَرْقَد بن الزبير السعديّ، عبد الله بن سليمان بن عمارة، سليمان بن عمارة، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل، ابن لسهيل بن عمرو، عمرو بن حيّان، سعيد بن عتّاب الكنديّ، حبيب بن أنس، هرون بن عروة، غيلان بن العلاء، جبريل بن عبادة، عبد الله البجلي، مُطَرِّف بن صبيح، ختن عثمان بن عفان (رض) — وجدوا على حالهم إلا أنهم قد جفت جلودهم والشعر عليها بحالته لم يتغير، وفي الوقاع من سنة ٧٠ من الهجرة[2]».

رابعاً: الطواف بالرؤوس في الآفاق:

هذا لون آخر من ألوان عرض الرؤوس، فقد كانت تنصب ببغداد أياماً فوق الأماكن البارزة ثم تحط، فمنها مايستقر في خزانة الرؤوس، ومنها ما يرسل به إلى البلدان فيعرض في كل بلد وكورة، فيكون عبرة لمن يعتبر، وعظة لمن تسوّل له نفسه الخروج عن طاعة أمير المؤمنين. وكان من هذه الرؤوس:

١ — رأس محمد بن عبد الله:

روى الطبري في حوادث سنة ١٤٥ هـ: « حدثني عيسى

(١) خطط المقريزي (٢ . ٣٠٣ — ٤ ٣، مطبعة النيل).
(٢) المنتظم (٨ : ٤٥).

(١) كذا وردت في صلة تاريخ الطبري (بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال)، أما في معجم البلدان (٤ : ١٨٣ — ١٨٤؛ طبعة وستنفلد) فإنها «قندهار: بضم القاف وتسكين النون وضم الدال أيضاً» وهو المشهور.

(٢) صلة تاريخ الطبري (ص ٦٢ — ٦٣، طبع ليدن)، وتجد هذه الرواية في المنتظم (٦ . ١٣٩).

[بن عبد الله] قال : حدثنا ابن أبي الكرام . قال : بعثني عيسى برأس محمد وبعث معي مائة من الجند . قال : فجئنا حتى إذا أشرفنا على الدجف كبرنا . قال : وعامر بن اسماعيل يومئذ بواسط محاصر هرون بن سمد العجلي . فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ما هذا التكبير ؟ قال : هذا ابن أبي الكرام جاء برأس محمد بن عبد الله قال : إيذن له ولعشرة ممن معه . قال : فأذن لي ، فوضعت الرأس بين يديه في ترس .... ، حدثني علي بن صالح ابن هيثم . قال : لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة أمر به فطيف به في طبق أبيض ، فرأيته آدم أرقط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق [1] » .

٢ — رأس بابك الخرمي

كان ظهور بابك الخرمي في أيام المعتصم ، وقد اشتهر أمره وذاع صيته وكثر أتباعه ، فهابته أمراء النواحي والأطراف ، وبالغ في الظلم والعيث والفساد ، وكان المعتصم يومذاك مشتغلا في بناء سامراء ، العاصمة الجديدة لبني العباس ، فصبر له ، حتى إذا فرغ من هذا الأمر ، سير إليه الجيوش وعليها الأفشين ، فاتصلت الحرب بين الطرفين مدة ، حتى ضاق الأمر على بابك ثم دارت الدائرة عليه فوقع أسيراً هو وأخوه وجماعة من أصحابه ، فجيء به مقيداً مشهراً . قال المسعودي يصف مشهد قتل بابك : « ووجدت في كتاب أخبار بغداد [2] أنه لما وقف بابك بين يدي المعتصم لم يكلمه ملياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم أنا عبدك وغلامك ؛ وكان اسم بابك الحسن ، واسم أخيه عبد الله . قال : جردوه ؛ فسلبه الخدام ما كان عليه من الزينة ، فقطعت يمينه فضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك بيساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ؛ وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة يبذلها ، فلم يلتفت إلى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه . وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ، ثم أمر بجز رأسه وضم أطرافه إلى جسده ، فصلب ثم حمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر ، وحمل بعد ذلك إلى خراسان فطيف به كل مدينة من مدنها وكورها ؛ لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظيم شأنه وكثرة جنوده وإشرافه على إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها . وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ففعل به أسحق ابن ابراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامرآء ، وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامرآء ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك ... [1] » .

٣ — رأس الحلاج :

للحسين بن منصور الحلاج أخبار غريبة أسهب الكتبة فيها ، حتى إنهم صنفوا كتباً [2] شرحوا فيها دعوته وأعماله وأقواله ويهمنا في هذا المقام خبر رأسه . فقد روى ابن الجوزي في ترجمته للحلاج ، قائلاً : « ... . فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة [سنة ٣٠٩ للهجرة] أخرج ليقتل ... ، وضُرب ألف صوت ، ثم قطعت يده ثم رجله ، وحز رأسه وأحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة .. . [3] » .

ثم أشار أبو الفرج إلى مصير رأس الحلاج في حوادث سنة ٣١٠ هـ ، فقال : « وفي يوم الاثنين سلخ ذي القعدة ، أُخرج برأس الحسين بن منصور الحلاج من دار السلطان ليحمل إلى خراسان [4] » .

وعلى هذا فإن رأس الحلاج مكث سنة كاملة ضيفاً على خزانة الرؤوس .

ميخائيل عواد

---

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٠٤ — ٢٥٥) .

(٢) أخبار بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ) ، وقد أشار إليه المسعودي غير مرة في مروج الذهب (١ : ١٢ و ٨ : ٢٠٩) .

والمعروف من هذا الكتاب اليوم ، الجزء السادس فقط ؛ فيه خلاصة المأمون . وقد عني بنشره « هفنر كلر » في ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وترجمه الى اللغة الألمانية

(١) مروج الذهب (٧ : ١٢٩ — ١٣١) .

(٢) لأبي الفرج ابن الجوزي كتاب في أخبار الحلاج . راجع المنتظم (٦ : ١٦٢) .

(٣) المنتظم (٦ : ١٦٤) .

(٤) المنتظم (٦ : ١٦٧) .